

القضية الجزائرية في مؤتمر التضامن الإفريقي الآسيوي بالقاهرة

1958 / 10 / 01 — 1957 / 12 / 26

د . بشير سعدوني

قسم التاريخ _ جامعة الجزائر 2_

بعد النجاح الذي حققته القضية الجزائرية في مؤتمر باندونغ، و بعد مضي حوالي ثلاث سنوات على ذلك الموعد الهام، تلاقت شعوب آسيا و إفريقيا المستقلة، و غير المستقلة من جديد في القاهرة من 26 ديسمبر 1957 إلى 1 جانفي 1958⁽¹⁾، فعقدت مؤتمرا ضخما بقاعة المؤتمرات بجامعة القاهرة ضم 500 مندوبا يمثلون 44 دولة إفريقية و آسيوية، بحضور جبهة التحرير الوطني ممثلة من طرف وفد يرأسه لمين دباغين⁽²⁾.

و قد أجمعت الوفود، كلها، على التنديد بالاستعمار، و الحرب، و دعت إلى تعايش الشعوب كافة في سلام و أمن، و هو ما عبر عنه ممثل مصر السيد/محمد أنور السادات في الخطاب الافتتاحي حيث قال:

" نحن في مصر نؤمن بالحياد، و عدم الانحياز، و كثير من الأصدقاء في آسيا وإفريقيا يشاركوننا هذا الإيمان، و نحن نؤمن بأننا بهذا الموقف نبعد شبح الحرب، ونضيق الرقعة أمام الكتل المتنازعة، و نوجد منطقة سلام واسعة..."⁽³⁾ .

كما أدانت، هذه الوفود، ما يجري على أرض الجزائر من تقتيل و إهدار لكرامة الإنسانية، و ألحت على ضرورة دعم الجزائريين إلى أن يحققوا مبتغاهم في الحرية

والاستقلال، حيث قالت رئيسة الوفد الهندي السيدة مشواري نهرو: " إن حق الشعوب في تقرير مصيرها حق طبيعي للجميع، و إن شعبا يتطلع إلى الحرية لا يمكن إبقاؤه تحت السيطرة، لهذا فإننا نطالب السلطات الفرنسية بفض القضية مع الوطنيين الجزائريين عن طريق المفاوضات، و على أساس استقلال الجزائر..."⁽⁴⁾.

و قال "راشيدوف" رئيس الوفد السوفياتي:

".... إن الشعب السوفياتي ما انفك يعطف على كفاح الشعب الجزائري، و إننا نلح على وجوب إنهاء الحرب الاستعمارية الدامية بالجزائر..."⁽⁵⁾.

نفس الأفكار وردت في كلمات رؤساء وفود الفيتنام، اليابان، أندونيسيا، السنغال وغيرها لكن الذي يهتما في هذه الدراسة هو خطب المندوبين العرب.

لهذا سنقوم باستعراضها كما يلي:

ألقي ممثل الجزائر السيد لمين دباغين، كلمة، ذكر فيها أن الشعب الجزائري يموت في سبيل الحرية، وينبغي على حلفائه الطبيعيين أن يشعروا بمسؤوليتهم تجاهه، فهناك ملايين الجزائريين يهددهم الموت جراء الجوع، و البرد، والمرض الأمر الذي يحتم على البلدان الإفريقية و الآسيوية أن تسارع إلى تقديم العون العاجل لهم.

كما أسهب في وصف حالة المهاجرين الجزائريين، و اليتامى، و الأرامل، مذكرا الجميع بأنه " يوجد بالجزائر جيش نظامي فرنسي يضم 600 ألف محارب يملكون ويستخدمون الأسلحة المدمرة " و إضافة إلى ذلك، هناك رجال الشرطة و الحرس والوحدات الإقليمية، ويبلغ مجموعها أكثر من مليون رجل مجهزين بجميع أنواع العتاد، يساندهم الشعب الفرنسي يبلغ تعدادة 42 مليون نسمة بجميع وسائله العسكرية والاقتصادية، راجيا من الحاضرين، ومن الشعوب التي ينتمون إليها، أن يفكروا في هذه الأرقام التي ليس وحدها تعمل على إبادة

الشعب الجزائري، بل أنها مدعمة بالحلف الأطلسي، فهي تستخدم طائراته و دباباته وذخائره، و دعمه السياسي، و الدبلوماسي، و وسائل دعايته الكبيرة و المتطورة. وختم كلمته بالقول : " إن نضال الجزائريين ليس وقفا عليهم وحدهم، بل هو نضال كل الشعوب التي تقاسي من ظلم الإنسان لأخيه الإنسان، و ما يحدث الآن في الجزائر ليس هو بحرب بين الجزائر وفرنسا، بل هو أكثر من ذلك، إنه صراع مرير بين الحرية والإضطهاد". (6)

الظاهر من خلال هذا التدخل المؤثر أن ممثل الجزائر سعى إلى تحقيق عدة أهداف منها إثارة عواطف الأفارقة و الآسيويين، و بالتالي دفعهم إلى مزيد من الدعم والمناصرة للقضية الجزائرية، هكذا فضح فرنسا أمام مندوبي أكثر من نصف سكان العالم و إظهارها بمظهر الظالم المعتدي، المعتد بقوته، و مساعدة حلفائه، خاصة أعضاء الحلف الأطلسي.

رئيس الوفد التونسي السيد/ علال بلهوان عالج القضية الجزائرية، خلال تدخله، من عدة نواحي ، مبيّناً بالخصوص الترابط المتين بين القضية الجزائرية و قضايا جيرانها، تونس و المغرب قائلاً : " لو شبهنا قضية الجزائر في إفريقيا لشبهناها بقضية الهند بآسيا، فلما استقلت الهند استقلت شعوب آسيا كلها تقريباً ، اندونيسيا ، سيلان ، بورما، الباكستان، الفيتنام ، فاستقلال الجزائر سيكون الضربة القاضية للاستعمار في إفريقيا كلها... " (7).

و واصل كلمته مندداً بالسياسة الفرنسية المنتهجة في الجزائر ، معتبراً أن الاستعمار يعد من الخطر الأكبر على العالم بأسره، مستشهداً، على صحة قوله، بما يحدث في الجزائر، و خلص في النهاية إلى أنه ما لم تحل القضية الجزائرية ، فالاستعمار سيظل قائماً في إفريقيا و غيرها ، كما أن العدوان على الشعوب الآمنة لن يتوقف قائلاً : "إن عدوان القوات الاستعمارية الفرنسية و الانجليزية و الإسرائيلية على مصر الشقيقة كان نتيجة لحرب الجزائر " (8) .

يتضح من هذه الكلمة أن التونسيين يدركون خطورة الوجود الفرنسي بالجزائر ، لا على الجزائريين فحسب ، بل و أيضاً ، على بلادهم المهددة بعودة الغزو ، أو على الأقل الاعتداء جراء قربها من الجزائر، و الوجود العسكري المكثف في هذه الأخيرة ، و هو ما حدث فعلاً، ففي 08 فيفري 1958 قامت القوات الفرنسية بالاعتداء على قرية ساقية سيدي يوسف الآمنة ، فأحدثت فيها قتلاً و دماراً ، و قد كانت جبهة التحرير الوطني قد أكدت مراراً أن استقلال بلدان شمال إفريقيا يبقى ناقصاً و مبتوراً ، و معرضاً للإلغاء، في أي لحظة، مادامت الجزائر لم تتل استقلالها من ذلك قولها : " كيف يمكن أن نتصور وجود استقلال حقيقي في المغرب و تونس فيما تواصل فرنسا في الجزائر أبشع الحروب الاستعمارية ، وأشدّها وحشية ، و أكثرها فضاة "(9).

رئيس الوفد السوري تدخل بكلمة استعرض فيها مراحل القضية الجزائرية، و سياسة فرنسا المنتهجة ضد الجزائريين منبهاً إلى " أن عرب الجزائر يواجهون اليوم أفضع أشكال الاستعمار ، و يتعرضون لحرب إبادة " (10).

فالفرنسيون ، كما ذكر المندوب السوري، لا يكتفون بقتل النساء و الأطفال و الشيوخ والمدنيين العزل ، بل تجاوزوا ذلك بالسعي الحثيث للقضاء على شخصية الشعب الجزائري العربية ، بمحاولة طمس اللغة و الدين و الوطنية و غيرها من المقومات ، مشدداً على أن الوطنية الجزائرية أقوى من أن ينال منها المستعمر ، واصفاً أعمال هذا الأخير بالفظاعة التي أثارت الضمير العربي ، و مشاعر الشعوب الإفريقية و الآسيوية ، واختتم كلمته بالقول " لقد برهنت الثورة الجزائرية للعالم بأن الوطنية الحقّة تجتمع مع أنبل العواطف الإنسانية للتتديد بالطمع الاستعماري ، و تأييد الكفاح من أجل الحق و من أجل الحرية "(11).

لقد جاءت كلمة المندوب السوري جادة، و معبرة، لأن السوريين يدركون جيداً ممارسات فرنسا و أهدافها و مراوغاتها ، و خططها الاستعمارية ماداموا قد عانوا من اتفاقية سايكس -

بيكو 1916⁽¹²⁾ ، و محاولة فرنسا فرض الانتداب على بلادهم خلال مؤتمر سان ريمو 1920⁽¹³⁾ و مجازرها البشعة في بلادهم.

كان أيضا، لرئيس الوفد المغربي تدخل عارض فيه سياسة التكتلات و الأحلاف المنتهجة في العالم، و أعلن أن المغاربة لا يضمرون عدااء لأي شعب من الشعوب، و لا يساعدون عن العدوان، لأنهم يريدون أن يكونوا أحرارا مستقلين و وسيلة خير و أمن وسلم بين جميع الشعوب.

هذا المتدخل لم ينس القضية الجزائرية الملتهبة على حدود بلاده الشرقية بل سعى لإبراز عدالتها، و خطورة تمادي فرنسا في التنكر لحقوق الشعب الجزائري العادلة، التي أقرتها الشرائع السماوية و القوانين الدولية⁽¹⁴⁾ أما رئيس الوفد العراقي، فقد اغتتم فرصة هذا اللقاء و ألقى خطابا دافع فيه عن الحركات التحررية في أي مكان معتبرا إياها مظهرا من مظاهر الوعي الذي أخذ يقوى بين شعوب إفريقيا و آسيا، الأمر الذي جعلها تدرك حقوقها الطبيعية فتصمم على نيل حريتها و استقلالها لتعيش في رخاء و سلام .

كما أسهب في الحديث عن حلف بغداد الذي فرضته حكومة نوري السعيد على الشعب العراقي دون رضاه، معددا مساوئ هذا الحلف الذي خنق أصوات الشعب العراقي، و أهدر حريته، و عطل أحزابه ، و سعى إلى عزل العراق عن أشقائه العرب ، و عن تيار الحركات التحررية في إفريقيا و آسيا ، لكن العراقيين صمموا على مقاوماته و القضاء عليه⁽¹⁵⁾ .

إن ما يلاحظ أن ممثل العراق لم يتعرض، في خطابه، للجزائر بالذكر المباشر، رغم أن جلّ المتدخلين تناولوا موضوعها كموضوع أساسي في خطبهم، قد يفسر ذلك على أنه اعتبرها حركة تحررية وطنية، و ربما يعنيها هي بالذات حين أسهب في الحديث عن حركات التحرر الوطنية، وضرورة نصرتها، و دعمها، و قد يكون اغتتم هذا اللقاء الضخم ليثير

مشاكل شعبه مع العدو و حلفائه من الحكام المرتبطين به، فألهاه ذلك عن التطرق لموضوع الجزائر .

رئيس الوفد الأردني⁽¹⁶⁾، قال في خطابه، بأننا في الأردن ذاك الجزء الصغير من الوطن العربي الكبير ناضلنا ضد الاستعمار و العملاء و الرجعية، وقدمنا الكثير من الشهداء، شأنا في ذلك شأن أي شعب مكافح حتى حققنا بمعونة قوميتنا العربية، وروح باندونغ ومبادئه، وبمؤازرة قوى الحرية في العالم حريتنا و سيادتنا، و تخلصنا من النفوذ البريطاني، و أقمنا دولة تؤمن بالتححرر، و الحياد و التعايش السلمي، وتعمل من أجل الأهداف الشريفة، أهداف التضامن الآسيوي-الإفريقي.

كما عرج في كلمته فتحدث عن مشروع إيزنهاور الذي فرض على الشعب الأردني عنوة لكننا سنتخلص منه، كما تخلصنا من قبل من الاستعمار، كما قال، و ختم كلمته بالقول " إننا نؤمن بأن حريتنا جزءً من حريتكم، و أن معركتنا مع الاستعمار جزء من معركة الشعوب، و أن السلام و العمل من أجل السلام هما السبيل الصحيح لكسب هذه المعركة وهما الصخرة التي سيتحطم عليها الاستعمار، و ترتفع فوقها شعلة الحرية⁽¹⁷⁾ .

يلاحظ مما سبق أن الوفد الأردني، رغم كونه يتكون من شخصيات و أحزاب وطنية تؤمن بالحرية وتدافع عنها ، و قد ذاقت مرارة الاضطهاد و التعسف الاستعماري و النظام المفروض من قبله، إلا أنه لم يتعرض للقضية الجزائرية التي عدت، ساعتها، قضية محورية، ذات أولوية، و أهمية خاصة و هذا شيء يثير الاستغراب و لا أجد له مبررا منطقيا مقبولا.

رئيس وفد الصومال أكد أن بلاده جزء من المجموعة الآسيوية الإفريقية، و هو في خدمة أهداف هذه المجموعة، بعدها تطرق، بشيء من التفصيل، لكفاح الشعب الصومالي المرير، وتضحياته و مآسيه، مبينا أن الطريق إلى الاستقلال ليس بالأمر الهين.

أما بالنسبة للقضية الجزائرية فقد خصص لها حيزاً هاماً من كلمته، بدأها بالتعبير عن انتماء الصومال للأمة العربية والإسلامية، حيث قال " بأنه عضو في الأسرة الآسيوية والإفريقية، وبالتالي في الأسرة الإنسانية ولذلك نؤيد بكل ما نستطيع الحركات التحررية لشعوب آسيا وإفريقيا وخاصة قضايا الجزائر الحرة⁽¹⁸⁾ .

أي أن الصوماليين رغم المعاناة التي يكابدونها، والاستعمار الجاثم على أراضيهم وحاجتهم الملحة إلى الدعم و المناصرة، فإنهم لم ينسوا شعب الجزائر الجريح، و قضيته العادلة، فأعلنوا عن مساندتهم لها و تعاطفهم معها .

يبدو أن المواقف و التصريحات العربية، و كذا النشاط الذي قام به العرب، قبل وأثناء انعقاد المؤتمر، إضافة إلى مساعي جبهة التحرير الوطني المكثفة، كل ذلك أثمر نتيجة جاءت في صالح القضية الجزائرية، تمثلت في القرارات الداعمة لها سياسياً ومادياً، حيث نددت بقوة بسياسة فرنسا و مراوغتها⁽¹⁹⁾ و هو ما أدى بالصحف العربية عامة، و صحيفة المجاهد خاصة إلى التنويه بها حيث تقول :

" لقد كان مؤتمر القاهرة، فرصة من تلك الفرص التي لا تتوفر إلا مرة أو مرتين في تاريخ الشعوب المستضعفة "⁽²⁰⁾.

و في مقال آخر قالت:

"إن الشعب الجزائري، لم يعد وحده في ميدان المعركة، إن التضامن الذي لقيه حتى الآن من الشعوب الآسيوية و الإفريقية سيزداد في الأيام و الشهور القادمة بروسيا و قوة⁽²¹⁾ و هو ما حدا بهذه الجريدة إلى التأكيد بأن استقلال الجزائر مؤكد التحقيق رغم قوة الاستعمار ومؤيديه⁽²²⁾.

و هكذا يتضح أن مؤتمر القاهرة نصر مبین بحق القضية الجزائرية، خاصة و أنه جعل الأفارقة و الآسيويين يتفقون على تخصيص يوم 30 مارس 1958 كيوم تضامني مع الجزائر.

و قد اعترفت الصحف الفرنسية بكونه نكسة لفرنسا، ودعماً للجزائر حيث كتبت صحيفة (لوبسيفاتور) L'Observateur قائلة (إن هذا التأييد يشكل ضربة قاسمة للمستعمرين الفرنسيين⁽²³⁾).

هوامش المقال

(1)- المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الدبلوماسية الجزائرية من 1830 إلى 1962، مطبعة دار هومة 1998 ص 145.

(2)- المجاهد، ع 19 (1 مارس 1958).

(3)- صبري أبو المجد، الثورة الجزائرية و القانون، دار اليقظة العربية ، تونس 1961 ص 64.

(4)- جبهة التحرير الوطني، كفاح الشعب الجزائري جزء من كفاح الشعوب الإفريقية الآسيوية في سبيل الحرية و الاستقلال، مطبوعات المجاهد، (د،ت) ص 15.

(5)- للاطلاع على خطب رؤساء الوفود المذكورين أنظر جبهة التحرير الوطني، كفاح الشعب الجزائري، جزء من كفاح الشعوب الإفريقية الآسيوية في سبيل الحرية و الاستقلال ، مطبوعات المجاهد ، الجزائر (د . ت) ، ص 10-17.

(6)- صبري أبو المجد، مصدر سابق، ص 70-71 ، كذلك جبهة التحرير الوطني كفاح الشعب الجزائري، مصدر سابق، ص 10-11.

(7) - جبهة التحرير الوطني ، كفاح الشعب الجزائري ، مصدر سابق ص 14 .

(8) - نفسه.

(9) - نفسه ، ص 05 .

(10) - نفسه ، ص 16.

(11) - نفسه.

(12) - اتفاقية سايكس-بيكو هي اتفاقية سرية وقعت سنة 1916 بين سترمارك سايكس مندوب بريطانيا و جورج بيكو مندوب فرنسا تم خلالها تقسيم سوريا الكبرى إلى مناطق نفوذ بريطانية فرنسية . يوسف الحكيم سوريا و العهد الفيصلي، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت 1966 ، ص 22.

(13) - انعقد مؤتمر سان ريمو سنة 1920 بمشاركة فرنسا و بريطانيا و إيطاليا و قد اتخذ عدة قرارات منها وضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، و قد أثار ذلك، لدى السوريين و اللبنانيين خاصة و العرب عامة شعورا بالغضب والكراهية للدول الغربية الاستعمارية، و أدى إلى بروز المقاومة السورية بقيادة يوسف العظمة. يوسف خليل يوسف ، تاريخ العرب الحديث و المعاصر مكتبة غريب ، القاهرة (د . ت) ، ص 174.

(14) - صبري أبو المجد، مصدر سابق، ص 74.

(15) - نفسه، ص 71.

(16) - قال رئيس الوفد الأردني " إن وفدنا في المؤتمر بجميع أعضائه، وزراء و أقطاب العهد الوطني، وممثلي الأحزاب والنقابات والهيئات الشعبية من المطاردين الذين نزعنا عنهم صفاتهم التمثيلية من قبل الحكم القائم في بلادهم الآن " نفس المصدر، ص 73.

(17) - نفسه، ص 72-74.

(18) - نفسه، ص 74-76.

(19) - نص اللائحة الخاصة بالجزائر التي صدرت عن مؤتمر التضامن الإفريقي الآسيوي المنعقد بالقاهرة من 1957/12/26 إلى 1958/1/1 " نظرا لشرعية الشعب الجزائري في استقلاله و سيادته الوطنية، و نظرا إلى أن الحكومات الفرنسية المتوالية، تطبق في الجزائر حربا استعمارية حقيقية، الغرض منها إبادة الشعب الجزائري نظرا إلى أن هذه الحرب أثارت من شدة هولها، وفضا عنها، استنكار قسم هام من الرأي العام الفرنسي، و نظرا إلى أن هذه الحرب تتسبب في

أحداث خسائر مادية وبشارية هائلة، و في إخراج مئات الآلاف من الجزائريين من وطنهم إلى تونس والمغرب، زيادة على العدد الكبير من الجزائريين الذين يستوجب حالتهم إعانة مادية مستعجلة. و نظرا إلى امتناع فرنسا، امتناعا كلياً من الدخول في مفاوضات جدية، و خاصة رفضها عرض الوساطة التونسية المغربية، و ذلك بالرغم من توصيات الأمم المتحدة، ونظرا إلى أن هذه الحرب المسلطة على الشعب الجزائري تشكل تهديدا لأمن الشعوب الإفريقية و للسلام العالمي. نظرا لهذه الأسباب كلها، فإن مؤتمر تضامن الشعوب الإفريقية الآسيوية المنعقد في القاهرة.

(1) يندد بالحرب الاستعمارية، و بالتعذيبات المسلطة من طرف القوات الاستعمارية على الشعب الجزائري الذي يناضل من أجل استقلاله.

(2) يؤكد تأييده للكفاح المجيد الذي يقوم به الشعب الجزائري.

(3) يطالب بتسريح القادة الخمسة، وجميع الوطنيين الجزائريين الموقوفين في السجون و المحتشدات.

(4) يحتم المؤتمر: بأن يعترف فوراً باستقلال الشعب الجزائري، و بأن تفتح عاجلاً مفاوضات على أساس هذا الاستقلال بين الحكومة الفرنسية و جبهة التحرير الوطني التي تمثل الشعب الجزائري.

(5) و يستنكر المؤتمر تجنيد الأفارقة في الجيش الفرنسي، الذي يحارب في الجزائر، و يوجه لهذا الغرض نداء إلى الأفارقة ليرفضوا محاربة إخوانهم .

(6) و يطلب المؤتمر من جميع شعوب العالم، و خاصة من شعوب إفريقيا و آسيا أن تنظم الحملات الصحفية والمظاهرات، وجميع الإمكانات الأخرى لتجنيد الرأي العام، و التنديد بحرب الإبادة في الجزائر، و العمل على وضع حد لهذه الإبادة، و حمل فرنسا على احترام حقوق الإنسان، و اتفاقية جنيف المتعلقة بالقوانين الحربية.

و على هذا الأساس، فإن المؤتمر يوصي:

(1) بأن يكون 30 مارس 1958 يوم التضامن مع الجزائر، في كامل آسيا، و إفريقيا، و ذلك بتنظيم المظاهرات، و إقامة الاجتماعات، و الحفلات العامة و جمع الأموال..الخ.

(2) و بأن تتشكل في جميع الأقطار لجان لتحرير الجزائر، كما يوجه المؤتمر نداء إلى كل شعب آسيوي إفريقي لمد الشعب الجزائري بالأموال و الألبسة و الأدوية و المواد الغذائية، و بجميع المساعدات المادية.

(3) و يطالب المؤتمر الشعوب الآسيوية و الإفريقية بمد اللاجئين الجزائريين في تونس و المغرب بمساعدة عاجلة

4) يوجه المؤتمر نداء إلى جميع الحكومات، و خاصة إلى حكومات آسيا و إفريقيا بأن تدافع عن قضية الجزائر أمام الهيئات العالمية، و بأن تستعمل جميع الوسائل المناسبة لحمل الحكومة الفرنسية على إنهاء الحرب في الجزائر. وبأن تجد الطرق الناجعة لحمل الحكومات التي تعين فرنسا في حربها على أن تكف عن هذه الإعانة

جبهة التحرير الوطني، كفاح الشعب الجزائري، مصدر سابق، ص 19.

(20)-المجاهد، ع 19(1 مارس 1958).

(21)-نفسه.

(22)- نفسه .

(23)-نفسه.